واعلم أن الله مُطلع عليك ، يعلم خفايا الضمائر وما تُكنّه الصدور ، فاحذر حينما تعطى العهد أنْ تعطيه وأنت تنوى أنْ تخالفه ، إياك أنْ تعطى العهد خداعاً ، فربك - سبحانه وتعالى - يعلم ما تفعل .

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾

قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ قُل ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحزاب] أى : لهؤلاء الذين يريدون الفرار من المعركة ﴿ لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحزاب] والقرآن هنا يحتاط لمسألة إزهاق الروح ، وسبق أن تحدثنا عن الفرق بين الموت والقتل ؛ لذلك يقول تعالى عن نبيه محمد : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ .. ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران]

فالموت لا يقدر عليه إلا واهب الحياة سبحانه ، ويكون بنقض الروح أولاً بأمر خالقها ، ثم يتبعه نَقْض البنية ، أما القتل فيقدر عليه الخَلْق ، ويتم أولاً بنقض البنية الذى يترتب عليه إزهاق الروح ؛ لأن البنية لم تَعُدْ صالحة لاستمرار الروح فيها ، بعد أنْ فقدتْ المواصفات المطلوبة لبقاء الروح .

والفرار لن يُجدى فى هذه المسألة ؛ لأن لها أجلاً محدداً ، سواء أكان بالله واهب الحياة ، أو كان بفعل واحد من الخَلْق عصى أمر الله ، فهدم البنية التى بناها الله ، وما جدوى الفرار من المعركة ، وقد رأينا مَنْ شهد المعارك كلها ، ثم يموت على فراشه ، كخالد بن الوليد الذى

يقول : لقد شهدتُ مائة زَحْف أو زهاءها ، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو طعنة برُمْح ، وها أنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامتْ أعين الجبناء[1] .

ثم يناقشهم القرآن : هَبُوا أنكم فررتُم من الموت أو القتل ، أتدوم لكم هذه السلامة ؟ أتخلدون فى هذه الحياة ؟ ﴿ وإذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إلاَّ قليلاً (١٦) ﴾ [الأحزاب] وسرعان ما تنتهى الحياة ، وتواجهون الموت الذى لا مَفَرَّ منه ، وكلنا ذاهب إلى هذا المصير .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) ﴾

المعنى : قل لهم يا محمد مَن الذى ﴿ يَعْصِمُكُم .. (١٧) ﴾ [الأحزاب] أى : يمنعكم ﴿ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً .. (١٧) ﴾ [الأحزاب] كما قال فى موضع آخر : ﴿ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ .. (٤٣) ﴾ [هود]

فإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا عاصمَ لهم ؛ لأنه لا يمتنع أحد مع الله ؛ لأنه لا يوجد معه سبحانه إله آخر يدفع السوء عن هؤلاء .

(١) ذكره ابن كثير فى « البداية والنهاية » (٧/١١٧) وعزاه للواقدى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه .

والإشكال الذى يحتاج إلى توضيح هنا قوله تعالى : ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً .. (١٧)﴾ [الأحزاب] فكيف تكون العصمة من الرحمة ؟ قالوا : يعصم هنا بمعنى يمنع ، والمعنى : لا يمنع أحد من أعدائكم رحمة الله إنْ أراد الله بكم رحمة .

ونلحظ على سياق الآية أنها جاءت بأسلوب الاستفهام ، ولم تأت على صورة الخبر ، فلم يَقُلْ القرآن لمحمد ﷺ : قل يا محمد ، لا يُعصَم أحد من الله إنْ أرادكم بسوء ، لأن الجملة الخبرية محتملة للصدق وللكذب ، إنما شاء الله أن يجعلها جملة إنشائية استفهامية ؛ ليقرروا هم بأنفسهم هذه الحقيقة ، كأنه تعالى يقول لهم : لقد ارتضيتُ حكمكم أنتم ، ولو لم يكُنْ الحق سبحانه واثقاً من أن الجواب لن يأتى إلا : لا أحدَ لَمَا جاء بالأسلوب فى صورة استفهام ، إذن : فالاستفهام هنا آكد فى تقرير صدْق هذه الجملة .

كذلك أنت تلجأ إلى هذا الأسلوب فى الردِّ على مَنْ ينكر جميلك ، فتقول : ألم أُحْسِن إليك يوم كذا وكذا ؟ فلا يملك عندها إلا الإقرار .

ثم يقول سبحانه : ﴿وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٧)﴾ [الأحزاب] الولى : هو القريب منك ، وأنت لا تُقرِّب منك إلا مَنْ ترجو نفعه ، هو الذى يليك أو يُواليك ، فحبُّه يسبق الحدث ، فإذا ما جاء الحدث حمله حبُّه لك على أنْ يدافع عنك .

والنصير : قريب من معنى الولى ، ويدافع أيضاً عنك ، لكن يأتى دفاعه بعد الحدث ، وقد يكون ممَّنْ لا قرابةَ بينك وبينهم .

والمعنى : حين يريد الله أحداً بسوء فلن يجد أحداً يمنعه من الله ، لا الوليّ ولا النصير .

ثم يقول الحق سبحانه[1] :

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾

قد : حرف يفيد التحقيق ، خاصة إذا جاءتْ من الحق سبحانه ، ويأتى معها الفعل فى صيغة الماضى ، لكن هنا ﴿ قَدْ يَعْلَمُ .. ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحزاب] فجاء الفعل بصيغة المضارع ، وهذا يعنى أن الحدث الذى يقع الآن سيثبت أن الله يعلم المُعوِّقين ، وقد علم أزلاً .

فإنْ قُلْتَ : فالحق سبحانه يعلم قبل أنْ يكون هناك تعويق ، نقول : فَرْق بين أنْ يعلم الأمر قبل أنْ يقع ، وأنْ يعلمه إذ يقع ، فقد يقول قائل : علمتُ وسوف تجازينى على ما تعلم سابقاً ، لكن لو تركتنى فى المستقبل لن تحدث منى مخالفة . إذن : فالحق سبحانه يريد أن يؤكد هذا الأمر . والمعوِّق : هو الذى يضع العوائق أمام مرادك ، ويُثبِّط همَّتك ويُخذِّلك .

وقوله ﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا .. ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحزاب] يعنى : أقبل وتعال . وكلمة (هلم) تأتى هكذا بصيغة المفرد دائماً مع المفرد والمثنى والجمع ،

---

(١) أخرج ابن أبى حاتم عن ابن زيد رضى الله عنه فى قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ .. ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحزاب] قال : هذا يوم الأحزاب ، انصرف رجل من عند النبى ﷺ ، فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف ، فقال له : أنت ههنا فى الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف قال : هلم إلىَّ ، لقد بلغ بك وبصاحبك - والذى يُحلف به لا يستقى لها محمد أبداً قال : كذبت - والذى يُحلف به - وكان أخاه من أبيه وأمه ، والله لأخبرنَّ النبى ﷺ بأمرك ، وذهب إلى النبى ﷺ يخبره ، فوجده قد نزل جبريل عليه السلام بخبره ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحزاب] .
[أورده السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٥٨٠] .

ومع المذكر والمؤنث ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا .. (١٥٠) ﴾ [الأنعام] أي : هاتوا ، وهذه هي اللغة الفصيحة .

وفي لغة من لغات تهامة يُلحقون بها علامة التثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث ، فيقولون : هلم وهلمي وهلما وهلموا ، ولجمع الإناث هلْمُنَّ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٨) ﴾ [الأحزاب] البأس أي : الحرب ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ .. (٨٠) ﴾ [الأنبياء]

وقال سبحانه : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ .. (١٧٧) ﴾ [البقرة] ففرَّق بين البأس والبأساء : البأس أي : الحرب . أما البأساء ، فكل ما يصيب الإنسان من مكروه في غير ذاته كفَقْد ولد ، أو خسارة مال .. إلخ ، أما الضراء فما يصيب الإنسان في ذاته ، كمرض أو نحوه .

ومن ذلك قول الله تعالى عن سيدنا داود : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ .. (٨٠) ﴾ [الأنبياء]

والمراد : صناعة الدروع التي يلبسها الإنسان على مظانّ المقَاتل فيه ، وعلى أجهزته الحيوية كالصدر والقلب والرأس ، ولها غطاء خاص (الخوذة) ، وتُصنع الدروع مُسنَّنة . أي : بها تموُّج وتجاويف ، بحيث تتلقى ضربات السيف بإحكام ، فلا تنفلت الضربة إلى مكان آخر فتؤذيه .

لذلك يقول تعالى لنبيه داود عن هذه الصنعة ﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ .. (١١) ﴾ [سبأ] أي : في إحكام هذه الحلقات المتداخلة .

وفَرْق أيضاً هنا بين لَبُوس ولباس : اللباس هو ما يقى الإنسان تقلبات الجو ، ويستر عورته أثناء الأمن وسلام الحياة ، وهذه هى الملابس العادية التى يرتديها الناس .

وفيها يقول الحق سبحانه : **﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا[1] وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ[2] تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١)﴾** [النحل]

أما كلمة (لَبُوس) فهى المُعَدَّة لحالة الحرب كالدروع ونحوها ؛ لذلك جاءت بصيغة دالة على التضخيم (لَبُوس) .

وهذه الآية تلفتنا إلى مظهر من مظاهر الدقة فى الأداء القرآنى المعجز ، فالآية هنا ذكرت (الحَرَّ) ، ولم تذكر شيئاً عن المقابل له ، وهو البرد ، والعلماء عادةً ما يلجئُون إلى تقدير هذا المحذوف عند تفسير الآية ، فيقولون : أى تقيكم الحر والبرد[3] ، يريدون أنْ يكملوا أسلوب القرآن ، وهذا لا يجوز .

---

(١) الأكنان : جمع كِنّ ، وما يُصان أو يستتر فيه الشيء ، والبيوت أكنان لأصحابها . [القاموس القويم للقرآن الكريم ٢/١٧٥] .

(٢) السربال : القميص والدرع ، وقيل : كل ما لُبس فهو سربال . [لسان العرب - مادة : سربل] .

(٣) قال ابن منظور فى لسان العرب - مادة : سربل : قيل فى قوله تعالى : ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ .. (٨١)﴾ [النحل] : « إنها القمص تقى الحر والبرد ، فاكتفى بذكر الحر كان ما وقى الحر وقى البرد » .

وقال أبو يحيى زكريا الأنصارى فى كتابه « فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن » : « ﴿سرابيل تقيكم الحرَّ .. (٨١)﴾ [النحل] أى : والبرد ، وإنما حذفه لدلالة ضده عليه ، كما فى قوله تعالى : ﴿بيدك الخَيْر .. (٢٦)﴾ [آل عمران] أى : والشر ، وخصَّ الحر والخير بالذكر ؛ لأن الخطاب بالقرآن أول ما وقع بالحجاز ، والوقاية من الحر أهم عند أهله ؛ لأن الحر عندهم أشد من البرد ، والخير مطلوب العباد من ربهم دون الشر » .

وحين نمعن النظر فى هذه الآيـة ، نجد أن الله تعالى خلق الظلال لتقـينا حرارة الشمس ، وجـعل اللباس ، وكذلك جـعل لنا الأكنان فى الجبال ، والله خلق الحرَّ على هذه الصـورة التى لا يتحملها الإنسان ؛ لأن للحر مهمة فى حياتنا ، فحرارة الشمس تخدمك فى أمور كثيرة ، وإنْ كانت تضايقك بعض الوقت ، فـالحق سبحانه أبقاها لتـؤدى مهمةَ خير لك ، ثم حَمَاك بالظل واللباس والأكنان من شرِّها .

فإنْ قُلْتَ : فهذه الأشياء تقينى أيضاً البرد ، نقول : إياك أنْ تظن أن الدفء يأتيك من غطاء ثقـيل أو مـلابس شتـوية ، إنمـا الدفء من ذاتك أنت ، فأنت تدفىء (البطانية) والـفراش الذى تنام عليه ، بدليل أنك ساعة تأتى فراشك لتنام تجده بارداً ، ثم بعد مرور ساعات الليل تجده فى الصباح دافئاً .

إذن : فحرارتك الذاتية انتـقلَتْ إلى الغطاء فأدفأتْه ، وكل ما يؤديه الغطاء أنه يحفظ حرارة جسمك بداخله ، فـلا تتبدد فى الهواء المحيط بك .

لذلك ، لما درس العلماء مسألة حرارة جـسم الإنسان وجدوا فيها مظهراً من مظاهر قدرة الله ، فالإنسان تُشع منه حرارة تكفى فى أربع وعشرين ساعة لغلْى سبعة عـشر لتراً من الماء ، ومعدل هذه الحرارة فى الجسم ٣٧° ثابتة فى قـيظ الحر وبرد الشتاء ، مـما يدل على أن لجسمك ذاتيةً منفصلة تماماً عن الجو المحيط بك .

ومن عجائب خَلْق الإنسان أن هذه الحـرارة تتفاوت من عضو إلى عـضو آخـر ، والجسم واحـد ، فأعـضاء حـرارتها مـا بين ٧° - ٩° كـالأنف والأذن والعـين ، ولو زادتْ حـرارة الـعـين عن هذا المـعـدل

تنفجـر ، أما الكبد فـحرارته ٤٠° .. إلخ ، ومعلوم أن الحـرارة تُحدث استطراقاً فى الجسم الواحد ، وفى المكان الواحد .

ومن عجائب خَلْق الإنسان فى هذه المسألة العَرَق الذى يتصبب منك فى حالة تعرضك للحـرارة الشديدة ، فيخرج العرق من مـسامِّ الجسم ، ليُلطف من درجة حرارته ، ويُـحدث عملية تبريد ، كـالتى نراها مثلاً فى موتور السيارة ، حتى عندنا فى الفلاحين تجد الفلاح من كثرة عمله فى الأرض وكثرة عرقـه تتكون على جسمه طبقة مـثل الجير ، وهذه أملاح تخـرج مع الـعـرق ؛ لذلك يكثـر فى هؤلاء الفـلاحـيـن أكل (المش) و (المـخللات) لتعـويض نسبـة الأملاح المـفقودة مع الـعرق ، إذن : فالحق سبحانه لم يقل (والبرد) ، لأن الدفء كما رأينا ذاتى .

وقوله تـعالى : ﴿ وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٨) ﴾ [الأحزاب] وهذه القلة مستثناة : إما من الإتيان ، أو أنهم يأتون البأس ، لكن قلة منهم يُقاتلون بهـمة ونشاط ، والـباقون أتوْا ذَرّاً للرمـاد فى العيون ـ كـما يقولون ولئلا يُتهموا بالتخلف عن رسول الله .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) ﴾

قوله تعالى : ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ .. (١٩)﴾ [الأحزاب] الشح فى معناه العام هو البخل ، لكن الشحيح الذى يبخل على الغير ، وقد يكون كريماً على نفسه وعلى أهله ، أما البخيل فهو الذى يبخل حتى على نفسه ؛ لذلك قال تعالى ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ .. (١٩)﴾ [الأحزاب] ليس على أنفسهم[١] .

وأنت حين تتأمل الصفات المذمومة فى الكون تجدها ضرورية لحقائق تكوين الكون ، وتجد لها مهمة ؛ لذلك فَطِن الشاعر إلى هذه المسألة ، فقال :

إنَّ الأشِحَّاءَ أسْخَى الناسِ قَاطِبةً ... لأنَّهم ملَكُوا الدُّنيا وَمَا انتفعُوا
لم يَحْرِمُوا الناسَ من بَعْضِ الذى ملَكُوا ... إلاَّ لِيُعْطَوْا هُموا كُل الذى جمَعُوا

وآخر يرى للبخيل فضلاً عليه ، فيقول :

جُزِى البخيلُ علىَّ صالحةً ... مِنِّى لخِفَّتِه علَى نَفْسِى

نعم ، البخيل خفيف على النفس ؛ لأنه لم يَجُدْ عليك بشىء يأسرك به ، ولم يستعبدك فى يوم من الأيام بالإحسان إليك ، فهو خفيف على نفسك ؛ لأنك لستَ مديناً له بشىء .

وهذا على حَدِّ قول الشاعر :

---

(١) أورد القرطبى فى تفسيره (٥٤١٢/٧) عدة أقوال فى تأويل قوله تعالى : ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ .. (١٩)﴾ [الأحزاب] :

- أشحة عليكم : أى : بالحفر فى الخندق والنفقة فى سبيل الله . قاله مجاهد وقتادة .
- وقيل : بالقتال معكم .
- وقيل : بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم .
- وقيل : أشحة بالغنائم إذا أصابوها . قاله السدى » .

أحْسِنْ إلَى النَّاسِ تَسْتَعبِدْ قُلُوبَهُم وطَالَمَا اسْتَعبَدَ الإنْسَانَ إحْسَانُ

فالبخل وإنْ كان مذموماً ، فقد ركزه الله في بعض الطباع ليعين التضاد ، ومعنى « يعين التضاد » أن البخل مقابله الكرم ، والبخيل يعاون الكريم على أداء مهمته ، فالكريم عادة (إيده سايبه) ، ينفق هنا وهناك حتى ينفد ما معه ، ومن أهل الكرم مَنْ يلجأ إلى أنْ يبيع أرضه أو بيته في سبيل كرمه ، فمَنْ يشتري منه إذن إذا لم يكُنْ هناك مَنْ يكنز المال ويبخل به ؟

إذن : لو نظرتَ إلى كل شيء في الوجود تجد له مهمة ، حتى إنْ كان مذموماً ، ثم إن البخيل كثيراً ما يكون ظريفاً لا يخلو مجلسه من ظُرْفه ، فقد كنا في بواكير شبابنا نشرب السجائر ، فكان الواحد منا يُخرِج علبة السجائر يوزعها على الحاضرين ، وربما لا تكفي واحدة فأخرج الأخرى ، وكان في مجلسنا واحد من هؤلاء ، فنظر إليَّ في غَيْظ وقال (يا قلبك يا أخي) .

وقد كانت هذه السجائر سبباً في أننا جُرْنا على شبابنا ، فكان لهذا أثر بالغ علينا في الكِبَر ، فليحْمِ الشباب شبابهم ولا يدمروه بمثل هذه الخبائث المحرمة .

ثم يقول سبحانه : ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ .. (١٩) ﴾ [الأحزاب] أي : في ساعة الفزع ، يأخذ الفزع أبصارهم، فينظرون هنا وهناك ، لا تستقر أبصارهم ، ولا تسكن إلى شيء ، زاغتْ أبصارهم ﴿ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ .. (١٩) ﴾ [الأحزاب]

ومن ذلك الخبر : « إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتَقلُّون عند الطمع » .

كان هذا حالهم عند الخوف والفزع ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ .. (١٩) ﴾ [الأحزاب] معنى ﴿ سَلَقُوكُم .. (١٩) ﴾ [الأحزاب]

آلموكم وآذوكم بألسنتهم ، وقالوا لكم : أعطونا حقنا ، فقد حاربنا معكم ، ولولا نحن ما انتصرتُمْ على عدوكم ، إلى غير ذلك من التطاول بالقول والإيذاء والتأنيب .

وهذا كله من معانى (السلق) ومنه : سلق اللحم ونحوه ، وهو أنْ يغلى فى الماء دون أنْ تضيف إليه شيئاً ، ومثله السلخ ، فكلها معانٍ تلتقى فى الإيلام .

وعادةً ما تجد فى اللغة إذا اشترك اللفظان فى حرفين ، واختلفا فى الثالث تجد أن لهما معنى عاماً يجمعهما كما فى سلق وسلخ ، وفى : قطف ، وقطر ، وقطم . وكلها تلتقى فى الانفصال .

وقوله تعالى ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ .. (١٩)﴾ [الأحزاب] حداد يعنى : حادة فصيحة بملء الفم ، كما فى قوله تعالى : ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢)﴾ [ق]

ومعنى ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ .. (١٩)﴾ [الأحزاب] بعد أنْ قال ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ .. (١٩)﴾ [الأحزاب] أكَّد هذا المعنى بقوله ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ .. (١٩)﴾ [الأحزاب] أى : فى عمومه .

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا .. (١٩)﴾ [الأحزاب] لأنهم لو آمنوا لَعلموا أن الشحَّ ، شُحٌّ عليهم هم ، وليس فى صالحهم ؛ لأن الكريم يستزيد من الله العطاء ، أما الشحيح فليس له زيادة ؛ لذلك يقول تعالى : ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ .. (٣٨)﴾ [محمد]

وربك حين يراك تنفق مما أعطاك يزيدك ؛ لأنك مؤتمن على الرزق ؛ لذلك يقول أحد الصالحين : اللهم إنك عوّدتنى خيراً ، وعوّدْتُ

خلقك خيراً ، فلا تقطع ما عوَّدتنى حتى لا أقطع عن الناس ما عوَّدتهم . إذن : فالعطاء استدرار لنعمة الله ، وسبب للمزيد منها .

وهَبْ أن لك عدة أولاد ، أعطيتَ لواحد منهم جنيهاً مثلاً ، فذهب واشترى به حلوى ، ثم وزَّعها على إخوته ، ولم يُؤثر نفسه عليهم ، لا بُدَّ أنك ستأتمنه ، وتعطيه المزيد ؛ لأن الخير فى يده يفيض على الآخرين .

ونتيجة عدم الإيمان ﴿ **فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً** (١٩) ﴾ [الأحزاب] أى : أنهم عملوا ، لكن أعمالهم لا رصيدَ لها من إيمان ؛ لذلك أحبطها الله أى : جعلها غير ذات جدوى ولا فائدةَ تعود عليهم . وهذه القضية أوضحها القرآن فى قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ** (١٨) ﴾ [إبراهيم]

وهذا الإحباط أمر يسير على الله تعالى ، لكن أفى حَقِّ الله تعالى نقول : هذا صعب ، وهذا يسير ؟ قالوا : كلُّ أمر الله يسير ؛ لأنه تعالى لا يفعل بمعالجة الشىء ، إنما يفعل سبحانه بكُنْ ، وسبق أنْ مثَّلنا لمعالجة الأفعال بمَنْ يريد أنْ ينقل مثلاً عشرة أرادبَّ من القمح ، فإنه لا يستطيع إلا أنْ يحملها مُجزَّأة ، فينقل (الجُوال) من هنا إلى هناك ، ثم الآخر ، إلى أنْ ينتهى من الكمية كلها ، ويأخذ فى هذا العمل وقتاً يتناسب مع قوته .

فلما تقدَّم العلم ، وتطوَّر الفكر الإنسانى رأينا الآلة التى تحمل كل هذه الكمية وتنقلها فى حركة واحدة ، وبمجرد الضغط على مجموعة من الأزرار والمفاتيح ، فإذا كان العبد المخلوق لله عز وجل قد استطاع أنْ يصلَ إلى هذا التيسير ، فما بالك بالخالق عز وجل ؟

لذلك يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) ﴾ [يس] ولا تتعجب من هذه المسألة ؛ لأن ربك أعطاك فى ذاتك شيئاً منها ، لماذا تستبعد فعْل الله تعالى بكُنْ ، وأنت ترى جوارحك تنفعل لمجرد إرادتك للفعل ، مجرد رغبتك فى القيام ترى نفسك قد قُمْتَ ، دون حتى أن تأمر جوارحك وعضلاتك بالقيام .

فإنْ قلتَ : فلماذا لا يأمر الإنسان جوارحه وأعضاءه بما يريد ؟ نقول : لأنك لا تملك أنْ تأمرها ، فهى تنقاد لك ولمرادك بأمر الله ، فالأشياء كلها إنما تأتمر بأمر الخالق سبحانه ، ولا تتخلف عن أمره أبداً ، ألم تقرأ عن السماء ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) ﴾ [الانشقاق]

فالسماء مع عظَم خَلْقها تسمع وتطيع أمر خالقها ؛ أما أنت أيها العبد ، فأىَّ شىء تأمر ، وأنت لا تعرف أصلاً ما تأمره ؟ وهل تعرف أنت العضلات والأعضاء والأعصاب التى تشترك بداخلك لأداء عملية القيام ؟ لذلك ولعدم علمك بما تأمره جعل الله أعضاءك وجوارحك تنفعل لمجرد إرادتك .

أما هو سبحانه فيقول (كُنْ) لأنه خالق كل شىء ، وكل شىء مؤتمر بأمره ، وقال سبحانه (كُنْ) حتى لا تقولها أنت ، فكأنها سبقتْ منه سبحانه لصالحك أنت ، وأنت تفعل من باطن كُنْ الأولى التى توزَّعَتْ علينا جميعاً .

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ
ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ
فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ
كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) ﴾

القرآن الكريم يحكى هذا الموقف عن المنافقين ، ويكشف نواياهم السيئة ، فبعد أنْ تجمَّع الأحزاب وخرجوا لمحاربة النبى ﷺ ما يزال هؤلاء المنافقون ﴿يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا .. (٢٠)﴾ [الأحزاب] فهذا التجمُّع يخيفهم ويروعهم ؛ لذلك لم يُصدِّقوه ، فقد رأوا النبى ﷺ ينتصر على أعدائه متفرقين ، وهذه هى المرة الأولى التى يجتمع فيها أعداء الإسلام على اختلافهم .

إذن : استبعد المنافقون تجمُّع الأحزاب هذا التجمع ، وبعد ذلك ينفضون دون أنْ يصنعوا حَدَثاً يُذكر فى التاريخ .

والحُسْبان : ظن ، أى : ليس حقيقة .

﴿وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ .. (٢٠)﴾ [الأحزاب] أى : إنْ يتجمع الأحزاب يودُّ المنافقون لو أنهم بادون أى : مقيمون فى البادية بعيداً عن المدينة ؛ لأنهم يخافون من مطلق التجمع ، ولأنهم إنْ بَقَوْا فى المدينة إما أنْ يحاربوا الأحزاب وهم غير واثقين من النصر ، وإما ألاَّ يحاربوا فيصيرون أعداءً للمسلمين .

فهم يريدون - إذن - أنْ يعيشوا فى النفاق ، وألاَّ يخرجوا منه ؛ لذلك يودون عيشة البادية مع الأعراب ، ومن بعيد ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ .. (٢٠)﴾ [الأحزاب] أى : ما حدث لكم فى هذه المواجهة .

ثم يقرر القرآن هذه الحقيقة : ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً (٢٠)﴾ [الأحزاب] أى : درْءاً للشبهات ، وذَرّاً للرماد فى العيون ، إذن : لا تأْسَ عليهم ، ولا تحزن لتخلُّفهم .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

أسوة : قدوة ونموذج سلوكى ، والرسول ﷺ مُبلِّغ عن الله منهجه لصيانة حركة الإنسان فى الحياة ، وهو أيضاً ﷺ أُسْوة سلوك ، فما أيسر أنْ يعظ الإنسانُ ، وأنْ يتكلَّم ، المهم أنْ يعمل على وَفْق منطوق كلامه ومراده ، وكذلك كان سيدنا رسول الله مُبلِّغاً وأسوة سلوكية ؛ لذلك قالت عنه السيدة عائشة رضى الله عنها : « كان خلقه القرآن »[1] .

لكن ، ما الأسوة الحسنة التى قدَّمها رسول الله فى مسألة الأحزاب ؟ لمَّا تجمَّع الأحزاب كان من دعائه ﷺ : « اللهم مُنْزِلَ الكتاب ، سريعَ الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم »[2] .

وجعل شعاره الإيمانى فيما بعد « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزَّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده »[3] وما دام

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٦/٩١ ، ١٦٣) ، وأبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة (١/٣١٠) من حديث عائشة رضى الله عنها أن سعد بن هشام بن عامر قال : أتيت عائشة ، فقلت : يا أم المؤمنين أخبرينى بخلق رسول الله ﷺ . قالت : كان خلقه القرآن ، أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم] .

(٢) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٩٣٣) ، وكذا مسلم فى صحيحه (١٧٤٢) كتاب الجهاد ـ باب استحباب الدعاء بالنصر (٧) من حديث عبد الله بن أبى أوفى .

(٣) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى فى صحيحه (٤١١٤) ، وكذا مسلم فى صحيحه (٢٧٢٤) كتاب الذكر والدعاء ـ باب (١٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ولفظهما : « لا إله إلا الله وحده ، أعزَّ جنده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فلا شىء بعده » .

هذا شعار المصطفى ﷺ ، فهو لكم أُسْوة .

وقال تعالى عن المؤمنين فى هذه الغزوة : ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ .. (٢١٤)﴾ [البقرة]

وفى بدر يقول أبو بكر : يا رسول الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك[1] .

ولقائل أنْ يقول : إذا كان الله تعالى قد وعد نبيه بالنصر ، فَلِمَ الإلحاح فى الدعاء ؟ نقول : ما كان سيدنا رسول الله يُلِح فى الدعاء من أجل النصر ؛ لأنه وَعْد مُحقَّق من الله تعالى .

واقرأ قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧)﴾ [الأنفال]

فالرسول لا يريد الانتصار على العير ، وعلى تجارة قريش ، إنما يريد النفير الذى خرج للحرب .

وقوله تعالى : ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ .. (٢١)﴾ [الأحزاب] كأن الأُسْوة الحسنة مكانها كل رسول الله ، فهو ﷺ ظرف للأُسْوة الحسنة فى كل عضو فيه ﷺ ، ففى لسانه أُسْوة حسنة ، وفى عينه أُسْوة حسنة ، وفى يده أُسْوة حسنة .. إلخ ، كله ﷺ أُسْوة حسنة .

---

(١) أورده ابن هشام فى السيرة النبوية (٢/٦٢٧) أن رسول الله ﷺ عدَّل الصفوف يوم بدر ، ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصديق ، ليس معه فيه غيره ، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد . وقد خفق رسول الله ﷺ خفقة وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذٌ بعنان فرس يقوده ، على ثناياه النقع (أى : الغبار) .

هذه الأُسْوة لمَنْ ؟ ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾ [الأحزاب]

وصف ذكر الله بالكثرة ؛ لأن التكاليف الإيمانية تتطلب من النفس استعداداً وتهيؤاً لها ، وتؤدى إلى مشقة ، أما ذكْر الله فكما قُلْنا لا يكلفك شيئاً ، ولا يشق عليك ؛ لذلك قال تعالى : ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ .. (٤٥)﴾ [العنكبوت]

يعني : أكبر من أيِّ طاعة أخرى ؛ لأنه يسير على لسانك ، تستطيعه في كل عمل من أعمالك ، وفي كل وقت ، وفي أيِّ مكان ، ولذلك قُلْنا في آية الجمعة : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا .. (١٠)﴾ [الجمعة]

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

أي : لما رأى المؤمنون الأحزاب منصرفين مهزومين ﴿قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ .. (٢٢)﴾ [الأحزاب] أي : هذا النصر ، وهذا الوعد الذي تحقق ما زادهم ﴿إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)﴾ [الأحزاب]

وهذه المسألة دليل من أدلة أن الإيمان يزيد وينقص ، فالإيمان يزيد بزيادة الجزئيات التي تُعليه ، فبعد الإيمان بالحق - سبحانه وتعالى - هناك إيمان بالجزئيات التي تثبت صدْق الحق في كلِّ تصرف .

وتسليماً : أي لله في كلِّ ما يُجريه على العباد .

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ(١) وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

نزلت هذه الآية فى جماعة من المؤمنين صادقى الإيمان[٢] ، إلا أنهم لم يشهدوا بدراً ولا أُحُداً ، ولكنهم عاهدوا الله إنْ جاءت معركة أخرى لَيُبَادِرُنَّ إليها ، ويبلُون فيها بلاءً حسناً .

وورد أنها نزلت فى أنس بن النضر ، فقد عاهد الله لما فاتته بدر لو جاءت مع المشركين حرب أخرى لَيبلونَّ فيها بلاء حسناً ، وفعلاً لما جاءت أُحُد أبلى فيها بلاءً حسناً حتى استشهد فيها ، فوجدوا فى جسده نيِّفاً وثمانين طعنةً برمح ، وضربة بسيف[٣] ، وهذا معنى

(١) نحب : أوجب على نفسه أمراً . أو نذر نذراً . وقضى نحبه : وفَّى بنذره . والنحب النذر ويقال لمن مات في سبيل الله : قضى نحبه . أى : وفَّى بنذره لأنه نذر أن يموت فى سبيل الله . [القاموس القويم ٢/٢٥٥] .

(٢) قال على بن أبى طالب عن طلحة بن عبيد الله : ذلك امرؤ نزلت فيه آية من كتاب الله تعالى ﴿فمنهم مَّن قضىٰ نحبه ومنهم مَّن ينتظر .. ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب] : طلحة ممن قضى نحبه ، لا حساب عليه فيما يستقبل . وقال عيسى بن طلحة : أن النبى ﷺ مرَّ عليه طلحة فقال : هذا ممن قضى نحبه . أوردهما الواحدى النيسابورى فى (أسباب النزول ص ٢٠٢ ، ٢٠٣) .

(٣) عن أنس بن مالك قال : غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر ، فشق عليه ، وقال : غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ ، والله لئن أشهدنى الله سبحانه قتالاً ليرينَّ الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعنى المسلمين ، ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال : أى سعد ، والذى نفسى بيده إنى لأجد ريح الجنة دون أُحُد . فقاتلهم حتى قُتل . قال أنس : فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم ، وقد مثَّلوا به ، وما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه ، ونزلت هذه الآية . [أسباب النزول للواحدى ص ٢٠٢ ، وابن سعد فى الطبقات الكبير (٤/٢٢٩)] .

﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ .. (٢٣)﴾ [الأحزاب]

وساعة تسمع كلمة ﴿رِجَالٌ .. (٢٣)﴾ [الأحزاب] في القرآن ، فاعلم أن المقام مقام جدٍّ وثبات على الحق ، وفخر بعزائم صُلْبة لا تلين ، وقلوب رسخ فيها الإيمان رسوخ الجبال . وهؤلاء الرجال وَفَّوا العهد الذي قطعوه أمام الله على أنفسهم ، بأنْ يبلُوا في سبيل نصرة الإسلام ، ولو يصل الأمر إلى الشهادة .

وقوله تعالى : ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ .. (٢٣)﴾ [الأحزاب] قضى نحبه : أي أدَّى العهد ومات ، والنحب في الأصل هو النذر ، فالمراد : أدى ما نذره ، أو ما عاهد الله عليه من القتال ، ثم استُعملَت (النحب) بمعنى الموت .

لكن ، ما العلاقة بين النذر والموت ؟ قالوا : المعنى إذا نذرتَ فاجعل الحياةَ ثمناً للوفاء بهذا النذر ، وجاء هذا التعبير ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ .. (٢٣)﴾ [الأحزاب] لتعلم أن الموت يجب أن يكون منك نذراً . أي : انذر لله أنْ تموت ، لكن في نُصْرة الحق وفي سبيل الله ، فكأن المؤمن هو الذي ينذر نفسه وروحه لله ، وكأن الموت عنده مطلوب ليكون في سبيل الله .

فالمؤمن حين يستصحب مسألة الموت ويستقرئها يرى أن جميع الخَلْق يموتون من لدُن آدم عليه السلام حتى الآن ؛ لذلك تهون عليه حياته ما دامت في سبيل الله ، فينذرها ويقدمها لله عن رضا ، ولمَ لا وقد ضحيتَ بحياة ، مصيرها إلى زوال ، واشتريتَ بها حياة باقية خالدة مُنعَّمة .

وقد ورد في الأثر : « ما رأيتُ يقيناً أشبه بالشك من يقين الناس بالموت » ومع أننا نرى الموت لا يُبقي على أحد فينا إلا أن كل

إنسان فى نفسه يتصور أنه لن يموت .

وحَقٌّ للمؤمن أنْ ينذر نفسه ، وأنْ يضحى بها فى سبيل الله ؛ لأن الله يقول : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)** ﴾ [آل عمران]

وهذه الحياة التى عند الله حياة على الحقيقة ، لأن الرزق سمة الحىِّ الذى يعيش ويأكل ويشرب .. إلخ ، وإياك أنْ تظن أنها حياة معنوية فحسب .

وقد تسمع مَنْ يقول لك : هذا يعنى أننى لو فتحتُ القبر على أحد الشهداء أجده حياً فى قبره ؟ ونقول لمن يحب أنْ يجادل فى هذه المسألة : الله تعالى قال : ﴿ **أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ .. (١٦٩)** ﴾ [آل عمران] ولم يقل : أحياء عندك ، فلا تحكم على هذه الحياة بقانونك أنت ، لا تنقل قانون الدنيا إلى قانون الآخرة .

والمؤمن ينبغى أن يكون اعتقاده فى الموت ، كما قال بعض العارفين : الموت سهم أُرسِل إليك بالفعل ، وعمرك بقدر سفره إليك .

والقرآن حين يعالج هذه المسألة يقول تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ .. (٢)** ﴾ [الملك] فقدَّم الموت على الحياة ، حتى لا نستقبل الحياة بغرور الحياة ، إنما نستقبلها مع نقيضها حتى لا نغترَّ بها .

وقوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ .. (٢٣)** ﴾ [الأحزاب] أى : ينتظر الوفاء بعهده مع الله ، وكأن الله تعالى يقول : الخير فيكم يا أمة محمد